تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط العشرون»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

المتن: قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وكما أن هذا الحكم هو موجَب القرآن وصريحه فهو موجَب الفطرة ومقتضى العقل، فإن الله سبحانه حرم على عبده أن يكون قَرْنانًا دَيُّوثا زوج بغى، فإن الله تعالى فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه.

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

كما أن سبحانه حرَّم الزواج من الزانيات إذا لم يتُبن إلى الله عزوجل لأن ذلك فساد في الأخلاق، وضياع للأنساب؛ ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]

فهو ﴿فَاحِشَةً﴾ في نفسه بمعنى أنه متناهي في القبح، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ آثاره سيئة على الفرد والمجتمع، والله جل وعلا يريد من المجتمع المسلم أن يكون مبنيا على الطهارة، الطهارة من الشرك في العقيدة، والطهارة في الأعراض من الزنا، والإستمتاع المحرم، الله لم يحرم الإستمتاع؛ هذا غريزة في الإنسان، فيه مصالح؛ ولكنه جعل له مصرفا صالحا يُنتج ويثمر وهو الزواج، ونهى عن السُفاح لأنه ضيعة، وينتج ذرية سيئة، أولاد زنا ليس لهم آباء، وهذا قبيح في الشرع، وهو أيضا قبيح في العقل والفطرة.

المتن: وكما أن هذا الحكم هو موجب القرآن وصريحه فهو موجب الفطرة ومقتضى العقل، فإن الله سبحانه حرم على عبده أن يكون قَرْنانًا دَيُّوثا، زوج بغيّ.

الشيخ: **قرنان:** يعني له أولاد من غيره؛ لأنه إذا تزوج زانية نسبت له أولادًا من غيره، جعلت له قرونا؛ ولهذا يعتبرون من ألفاظ القذف بأن يقول له أنت لك قرون، أو يقال لها جعلتِ لزوجك قرونا أي أولادًا من غيره، هذا معنى قرنان.

والدَّيُّوثُ: كما في الحديث «والدَّيُّوثُ الذي يُقرُّ الخبثَ في أهلِه»، يرى امرأته تزني ويُدخل عليها ولا يغار، ولا يغار على زوجته هذا الديوث الذي يقر السوء في أهله؛ ولذلك صان الله المرأة المسلمة فجعل لها سترا، وجعل لها حماية، وجعل عليها قوامين من الرجال لئلا تضيع، فإذا أُعطيت المرأة الحرية، وتُرك لها الحبل على الغارب صارت تسافر وحدها بدون محرم، فسلط عليها الفساق وتابعوها لأنها امرأة ضعيفة لا تدفع عن نفسها، وأيضًا هي امرأة سريعة الإنفعال وتنفعل مع المغريات، إمرأة ذات شهوة أيضا فلابد من حماية لها؛ فلذلك جاء القرآن لحماية المرأة، منع الاختلاط بين الرجال والنساء، منع السفور، ترك الحجاب، منع سفر المرأة وحدها بدون محرم، كل هذا حماية لها، أهل الشر يقولون هذا إهانة للمرأة وهذا منع لحقوقها وحريتها، يقولون هذا، هذا ليس من حقوقها وليس من حريتها، هذا من عبوديتها، إذا أُطلقت المرأة ولم تُحمى صارت عبدة لكل شرير ولكل فاسق، خاضعة له؛ ليس هذا من حرية المرأة، هذا من ذل المرأة وعدم المبالاة بها، كونها من سقط المتاع، كونها متاع للرجال، كل يتمتع بها، إما بنظر، وإما بلمس، وإما بفعل الفاحشة، وإما بخلوة معها، وغير ذلك، هل هذا من صالح المرأة؟

المرأة كريمة، المرأة شريفة، أم المجتمع، أم الأولاد، مربية الأجيال، سيدة البيوت والأسر، المرأة في الإسلام مكرمة معززة ولها منزلة رفيعة، أما المرأة عند الكفار سواءًا الكفار القدامى في الجاهلية، أو الكفار المعاصرون، فإن المرأة عندهم مجرد متعة يستمتع بها كل أحد، فتكون مثل المرحاض يدخل فيه كل ذي حاجة ويخرج، هي شبيهة بالمرحاض، يقضي حاجته فيها ويخرج منها، هكذا شأن المرأة في المجتمعات المنحطة التي ليس لها دين

وليس لها شرف، دعاة الضلالة الآن يريدون أن يلحقونا بالمجتمع الغربي في كل شيء، يسمى التغريب، تغريب المرأة فينبغي التنبه لهذا، صيانة المحارم، صيانة المسلمات، الله جل وعلا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ ﴾[الأحزاب: ٥٩]

الجلباب هو الجلباب الكبير الذي فوق الثياب مثل العباءة والملاءة، ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ بمعنى يغطين وجوههن بطرف الجلابيب، أو بالخمار الخاص، لماذا؟ ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ يعرفن بالعفة والشرف ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ ما يطمع فيهن أحد من الفساق، إذا احتجبت المرأة عرفوا أنها شريفة ونزيهة، وأنها صائنة لنفسها فلا يطمعون فيها، أما إذا رأوها متبذلة سافرة طمعوا فيها وآذوها، ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين يُعرفن بالعفة والشرف فلا يطمع فيهن الفساق فلا يؤذين.

فالحجاب فيه منع للأذى من الفساق أصحاب الشهوات، وهم يقولون لا، هذا ذلة للمرأة، هذا حبس لحريتها، الخ... ما يقولون قبحهم الله، فينبغي التنبه لهؤلاء، ويجب الرد عليهم بأقصى العبارات حتى يرتدعوا.

المتن: فإن الله سبحانه حرم على عبده أن يكون قَرْنانًا دَيُّوثا زوج بغى.

الشيخ: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾[النور: ٣] المشرك ما يهمه، عنده نجاسة الشرك أعظم، هو زانٍ ما يبالي بالأعراض، فيتزوج الزانية؛ أما المؤمن فلا يتزوج الزانية ولهذا قال في ختام الآية: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾

المتن: فإن الله فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه.

الشيخ: يعني يُنافي هذا ضياع المرأة، يُنافي الفطرة والعقول السليمة، مع منافاة الشرع لذلك ومحاربته في الشرع، الفطرة والعقول السليمة تستنكره، أما العقول الفاسدة والملوثة لا

تستنكره يقولون هذا حضارة وهذا من حق المرأة ما يُحجر عليها، ولا تمنع من حريتها، وما أشبه ذلك من العبارات الشيطانية.

المتن: فإن الله فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه ولهذا إذا بالغوا فى سب الرجل قالوا زوج قحبة.

الشيخ: إذا بالغوا في سب الرجل وتنقيصه قالوا هذا زوج قحبة يعني زاني، ما فيه خير.

المتن: فحرم الله تعالى على المسلم أن يكون كذلك.

الشيخ: أن يكون زوج قحبة أو زوج زاني، ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

المتن: فظهرت حكمة التحريم وبان معنى الآية، والله الموفق.

الشيخ: بان معنى الآية، والله إن معنى الآية واضح وبيِّن، الله حكيم عليم سبحانه، غفور رحيم بعباده، يرسم لهم الطرق النزيهة والطرق الصيِّنة رحمة بهم، حماية لهم، الأعراض إذا فسدت ما بقي شيء، صار المجتمع كله أولاد زنا، سفاح، صارت النساء مجرد محل قضاء حاجة للفسقة مثل الحمام تمامًا، إذا أراد أن يقضي حاجته يدخل فيه ويطلع، تكون المرأة كذلك إذا ضُيِّعت؛ كما يدخل المرحاض يبول ويتغوط، يأتي للزانية ويقضي حاجته ويمشي، هذه صفة الزانيات، يرضى المسلم؛ بل العاقل صاحب الفطرة السليمة؟! لا يرضى بهذا أبدا.

المتن: ومما يوضح التحريم، وأنه هو الذى يليق بهذه الشريعة.

الشيخ: إذا كان الزنا بهذه الشناعة والقبح، كلٌ يعرف يقول الزنا حرام والزنا ما يجوز؛ لكن ما يكفي هذا، لابد من اتخاذ الوسائل التي تمنع الزنا، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢] ما قال ولا تزنوا، قال ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ يعني تجنبوا الوسائل التي تُفضي إلى الزنا، إمنعوها، ولا يمكن أن تمنعوا الزنا إلا إذا منعتم الأسباب التي تؤدي إليه، وتقيموا الأسباب التي شرعها الله بدفعه ومنعه، من الحجاب، من المحرمية للمرأة، من عدم الاختلاط في المكاتب والنوادي والحفلات

والشاشات ووسائل الإعلام، تظهر مع الرجل متزينة متجملة كأنه زوجها، أمام العالم، ما هو أمام إثنين ولا ثلاث، إمرأة مسلمة تظهر أمام العالم بهذه الصورة، نسأل الله العافية، هذا قبيح هذا سيء.

المتن: ومما يوضح التحريم، وأنه هو الذى يليق بهذه الشريعة الكاملة : أن هذه الخيانة من المرأة تعود بفساد فراش الزوج.

الشيخ: تفسد فراشه، المرأة فراش الزوج، يصير فراشه كلٌ يطأه، كلٌ يجلس عليه، ما صار فراش له، صار فراش للناس كلهم.

المتن: أن هذه الخيانة من المرأة تعود بفساد فراش الزوج، وفساد النسب.

الشيخ: فساد النسب لأن الزانية تنسب له أولاد لأنه فراشه، «الولدُ للفراشِ» كما في الحديث؛ فإذا نسبت له أولادًا بموجب الفراش أدخلت عليه أولاد الزنا، صار ولد الزنا مَحرم لنسائه، وصار يرث منه، وصار يورث، كل هذا حرام ولا يجوز.

المتن: وفساد النسب الذى جعله الله تعالى بين الناس لتمام مصالحهم.

الشيخ: النسب ماهو سهل، النسب يُحافظ عليه، النسب يُدرس ويُعرف لتعارفوا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣] فلان من قبيلة فلان، ما الناس كلهم مختلطين، لا، قبائل، كلٌ ينتسب إلى قبيلته، وهذا شرف، حفظ النسب هذا شرف.

المتن: وفساد النسب الذى جعله الله تعالى بين الناس لتمام مصالحهم، وعدوه من جملة نعمه عليهم، فالزنا يفضى إلى اختلاط المياه، واشتباه الأنساب.

الشيخ: يفضي إلى مفاسد كثيرة، إختلاط المياه، كلٌ يطأها، وتحمل مما هبَّ ودبّ، تختلط المياه، تختلط الأنساب، تضيع الأنساب التي تميز بين الناس، يتعارفون بها ويتوارثون،

ويتعاقلون بها، تضيع هذه، وكذلك ما يذكره الأطباء ويتواتر من الأمراض، مرض الهربس، الأمراض التي حصلت الآن بسبب الزنا واللواط، فقد المناعة، مرض الإيدز، مرض الهربس وهو فقد المناعة، يصير جسمه ما يمتنع من شيء من الأمراض بسبب فقد المناعة، هذا شيء معروف، بسبب الزنا واللواط أيضا.

المتن: فالزنا يفضى إلى اختلاط المياه، واشتباه الأنساب، فمن محاسن الشريعة :تحريم نكاح الزانية، حتى تتوب وتُستبرأ.

الشيخ: حتى تتوب وتُستبرأ من الزنا ، لا يكون فيها حمل، فإذا تابت توبة صحيحة فلابد أن تعتدَّ عدة يُعلم بها براءة رحمها وطهارته من الزنا، حينئذ تتزوج، تصبح صالحة للحرث، ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، كما أنك تزرع البذور في الأرض تزرع أيضا النطف في الرحم لتنتج لك ذرية، والبذور في الأرض تنتج لك زرعا، تنتج لك ما تشاء من النوابت، حرث، كيف تضيع حرثك؟ يحرثه غيرك؟ ما يصلح هذا بالبشر عموما فكيف بالمسلمين؟!

المتن: وأيضاً فإن الزانية خبيثة، كما تقدم بيانه.

الشيخ: الله سماها خبيثة، ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] يعني الزانيات للزانيين، والزانون من الرجال للزانيات.

المتن: وأيضاً فإن الزانية خبيثة، كما تقدم بيانه والله سبحانه جعل النكاح سببا للمودة والرحمة.

الشيخ: نعم، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، هي ما تعرفك وأنت ما تعرفها من الأول، فإذا عقدت عليها صار بينكم مودة ورحمة، بينك وبينها، هذا من فوائد النكاح الشرعي، المودة والرحمة، تسبب الألفة بين الزوجين، والتعاون على تربية الأسرة...إلخ.

أما لو نفر الزوج منها أو نفرت هي منه ما صار للزواج فائدة.

المتن: والله سبحانه جعل النكاح سببا للمودة والرحمة، والمودة: خالص الحب، فكيف تكون الخبيثة مودودة للطيب، زوجا له.

الشيخ: بعيد أن تكون الخبيثة زوجة للنزيه عن الزنا، العفيف، ما يمكن هذا في الشرع والعقل، وإن أمكن عند السفهاء والفساق الذين لا قيمة لهم.

المتن: والزوج سمى زوجا من الإزدواج وهو الاشتباه.

الشيخ: الإزدواج يعني المناسبة بين الزوجين، هذا زوج هذا يعني شكله، يعني مشاكل له، الأصحاب يُسمون أزواج لأنهم تشاكلوا، ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ [الصافات: ٢٢]، يعني أشباههم وخِلَّانهم، ليس أزواجهم يعني زوجاتهم، لا، يعني أشكالهم في الأخلاق، في السيرة، يسمون أزواج، بعضهم زوج لبعض في أخلاقه، وفي سيرته، فالأزواج يُطلق ويُراد به الأشباه.

المتن: والزوج سمى زوجا من الإزدواج وهو الاشتباه، فالزوجان الاثنان المتشابهان، والمنافرة ثابتة بين الطيب والخبيث شرعاً وقَدَرًا.

الشيخ: ما يمكن أن تكون المودة والرحمة فيما إذا تزوج زانية، ما يمكن هذا، أو هي عفيفة تزوجت زانيا ما يمكن يكون بينهم مودة ورحمة، إنما هذا في الزواج الطاهر النزيه، الزواج الشرعي.

المتن: والمنافرة ثابتة بين الطيب والخبيث شرعاً وقَدَرًا، فلا يحصل معها الازدواج والتراحم والتواد، ولقد أحسن كل الإحسان من ذهب إلى هذا المذهب، ومنع الرجل أن يكون زوج قحبة، فأين هذا من قول من جوز أن يتزوجها ويطأها الليلة، وقد وطئها الزانى البارحة؟

الشيخ: يعني ما يشترط العدَّة، هذا باطل؛ لابد من استبراء رحمها، كيف أنها زنت في الصباح وزُوجت في المساء؛ ربما أنها حامل من الزنا، وتُدخل الولد على الذي عقد عليها وهو ليس له، الشرع جاء بطهارة الأخلاق، وطهارة الفروج، وطهارة الأنساب.

المتن: ولقد أحسن كل الإحسان من ذهب إلى هذا المذهب، ومنع الرجل أن يكون زوج قحبة، فأين هذا من قول من جوز أن يتزوجها ويطأها الليلة.

الشيخ: هذا غلط وإن قال من قال من أهل العلم؛ لكنه غلط، وأهل العلم يُخطئون ويصيبون.

المتن: أن يتزوجها ويطأها الليلة، وقد وطئها الزانى البارحة؟ وقال :ماء الزانى لا حرمة له.

الشيخ:لا، ماء الزاني ليس له حرمة؛ إنما العدة من أجل المطلقة من زوج، أما المفارقة من زاني فلا حاجة إلى العدة، هذا قول باطل؛ لأنه ماهو بالكلام، قالوا من معاني العدة إحترام الزوج المطلق، هذا من معانيها، وليس هو كل المعنى؛ لكن المعنى الصحيح والمعنى الأصلي هو استبراء الأرحام من النطف التي تكون للسابقين إما بزواج وإما بزنا، إستبراء الرحم؛ لا يدخل هذا على هذا، لا يكون هذا منسوب إلى هذا، إذا كانت لابد أنها تعتد من المطلِّق المسلم الطيب، حتى ولو كان من الصحابة لابد من العدة من أجل إيش؟ من أجل أن لا يكون له ولد فيها، فيُنسب إلى المتزوج الجديد وهو ليس له، الأصل في العدة هو هذا، براءة الأرحام من الحمل لئلا يُنسب إلى من ليس له.

المتن: وقال :ماء الزانى لا حرمة له.

الشيخ: إلا له حرمة، بمعنى هو لا حرمة له لأنه سفاح لكن آثاره قبيحة، تتجنب لأثاره كما تتجنب المراحيض، والمواطن النجسة والسيئة، تجنب هذا.

المتن: فهب أن الأمر كذلك، فماء الزوج له حرمة، فكيف يجوز اجتماعه مع ماء الزانى فى رحم واحد؟

الشيخ: إي نعم، هذا رد عليه، يقول ماء الزاني ليس له حرمة، نقول ماء الزوج له حرمه، فكيف يجتمع مع ماء الزاني، هذا ما يمكن شرعا ولا عقلا ولا فطرة، ونحن نحترم ماء الزوج لئلا يدخل عليه ماء الزاني.

المتن: والمقصود :أن الله سبحانه وتعالى سمى الزوانى والزناة خبيثين وخبيثات.

الشيخ: والخبيث ضد الطيب، ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾[المائدة: ١٠٠]، فلا يستوي الخبيث والطيب، لا يستوي الزنا والزواج الشرعي، الزواج الشرعي طيب وهذا خبيث، لا يستويان، يقال هذا ماله حرمة ماء الزاني، نقول نعم هو ماله حرمة لكن أثره سيء ويسبب اختلاط الأنساب.

المتن: والمقصود :أن الله سبحانه سمى الزوانى والزناة خبيثين وخبيثات وجنس هذا الفعل قد شرعت فيه الطهارة، وإن كان حلالا، وسمى فاعله جنبا، لبعده عن قراءة القرآن، وعن الصلاة، وعن المساجد.

الشيخ: الجنب: هو زوج شرعي؛ إذا جامع زوجته صار جنبًا، يجتنب قراءة القرآن، يجتنب الصلاة، يجتنب البقاء في المسجد، يحرم عليه أشياء وهو مسلم؛ لكن جنب، من أجل الجنابة التي حصلت منه مع زوجته لابد أن يتطهر منها، مع أن هذا مباح وطيب؛ لكن أيضا يجب الطهارة والإغتسال منه وهو نكاح طيب فكيف بالزاني الخبيث؟!

المتن: وجنس هذا الفعل قد شرعت فيه الطهارة، وإن كان حلالا.

الشيخ: وإن كان حلالا كالزوج مع زوجته إذا وطئها يجب عليه الإغتسال مع أنه طيب،

المتن: وسمى فاعله جنبا لبعده عن قراءة القرآن وعن الصلاة وعن المساجد.

الشيخ: يعني يتجنب هذه الأشياء.

المتن: فمنع من ذلك كله حتى يتطهر بالماء.

الشيخ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ ﴾[النساء: ٤٣]

المتن: فمُنع من ذلك كله حتى يتطهر بالماء، فكذلك إذا كان حراما يبعد القلب عن الله تعالى.

الشيخ: يعني حراما من باب أولى لابد من الطهارة.

المتن: فكذلك إذا كان حراما يبعد القلب عن الله تعالى، وعن الدار الآخرة، بل يحول بينه وبين الإيمان، حتى يُحدث طهرا كاملا بالتوبة، وطهرًا لبدنه بالماء وقول اللوطية: ﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢﴾ [الأعراف: ٨٢]

الشيخ: سبحان الله، اللوطية أنطقهم الله بالحق، سموا ترك اللواط طهارة، هم يعيرون لوطا وأهله لأنهم يتطهرون، هذا معناه أنهم هم غير متطهرين، ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾ مالسبب؟ ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾، هذا عيبهم، هذا من انتكاس العقول والفطر، هذا فيه أنهم معترفون على أنفسهم أنهم غير متطهرين.

المتن: وقول اللوطية: وقول اللوطية:﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢﴾ [الأعراف: ٨٢] من جنس قوله سبحانه فى أصحاب الأخدود: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ [البروج: ٨]

الشيخ: أصحاب الأخدود هم قوم من الجبابرة والمشركين، جاءوا بالمسلمين في وقتهم يريدون أن يصدوهم عن دينهم، وأن يردوهم عن دينهم، أبى المسلمون أن يرتدوا عن دينهم فحفروا، أخدودا في الأرض، حفر الجبابرة أخدودا في الأرض، وأضرموا فيه النيران، وجاءوا بالمسلمين، قالوا إما أن ترتدوا وإما أن نلقيكم في النار، فصبر المسلمون على الإلقاء في النار، وفعلوا الجريمة وألقوهم في النار، فالله جل وعلا أنزل فيهم هذا القرآن،﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤﴾ قُتل: يعني لُعن أصحاب الأخدود، ما هو الأخدود؟ ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥﴾التي أوقدوها، ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦﴾يتفرجون على المسلمين وهم يُحرَّقون بالنار، مسرورين منبسطين، ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧﴾ حضور يناظرونهم، مالسبب؟ ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾: هذا ذنبهم، مثل قول قوم لوط: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾

المتن: وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩]

الشيخ: الله جل وعلا رد على اليهود والنصارى الذين يُعيرون المسلمين وينتقصون الإسلام الله رد عليهم وقال لنبيه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ يعني ما تنتقدوننا بشيء ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾، أما أنتم فلا تؤمنون بكل ما أنزل الله، بل تؤمنون ببعضه وتكفرون ببعضه، لا تؤمنون بالقرآن الذي هو أشرف الكتب، لا تؤمنون به، أما نحن فنحن نؤمن بالقرآن، ونؤمن بالتوراة، ونؤمن بالإنجيل، ونؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله، ما نؤمن ببعض الكتب ونكفر ببعضها مثلكم بسبب الهوى، ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، يعني الإيمان الصحيح، أهل الكتاب يؤمنون بالله لكن الإيمان غير صحيح، إيمانهم مُختل، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ وهو التوراة والإنجيل، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾، كيف تعيبون علينا الإيمان ولا تعيبون على أنفسكم الفسق وهو الكفر والعياذ بالله، الفسق المراد به هنا الكفر، فنحن مؤمنون أنتم فاسقون، كيف تعايروننا بالإيمان؟ أنتم الأولى بالتعيير، أنتم فاسقون خارجون عن طاعة الله عز وجل.

المتن: وقوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[المائدة: ٥٩] وهكذا المشرك إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد.

الشيخ: المشرك سواءًا كان من الجاهلية أو من المشركين المعاصرين، المشركين في الإسلام الذين يعبدون القبور والأضرحة هم يعيبون على أهل التوحيد، ولا ينظرون إلى عيبهم، وهو الشرك بالله عزوجل، يعيبون على التوحيد ولا يعيبون على الشرك، هذا من انتكاس الفطر.

المتن: وهكذا المشرك إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد، وأنه لا يشوبه بالإشراك، وهكذا المبتدع :إنما ينقم على السني تجريده متابعة الرسول ﷺ، وأنه لم يشبهًا بآراء الرجال، ولا بشيء مما خالفها.

الشيخ: نعم، وهكذا المشرك، وهكذا المبتدع يعيب على السني تمسكه بالسنة كما أمر الله جل وعلا وأمر رسوله بالتمسك بالكتاب والسنة، يعيبون هذا ولا يعيبون على أنفسهم أنهم يعملون بالبدع والمحدثات، ويأخذون بأقوال الرجال، ولو خالفت السنة، ولو كانت خطأ يأخذون بها ويقولون الآن المسألة فيها خلاف، فإذا قلت هذا حرام قالوا المسألة فيها خلاف، فإذا قلت هذا واجب، قالوا المسألة فيها خلاف، يعني كل مسألة فيها خلاف يعني نأخذ بالخلاف؟ نأخذ بالدليل،﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩]

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، الخلاف نعرضه على الدليل، فما وافق الدليل أخذنا به، وما خالف الدليل تركناه، ولو كان من قال به من أكابر العلماء، العلماء يخطئون، ليسوا معصومين.

المتن: وهكذا المبتدع :إنما ينقم على السني تجريده متابعة الرسول ﷺ، وأنه لم يشبها بآراء الرجال، ولا بشيء مما خالفها.

الشيخ: أنت إذا قلت لمبتدع أتق الله هذه بدعة، تمسك بالسنة، قال المسألة فيها خلاف، المسألة فيها خلاف تتمسك بالسنة في الخلاف؟!

عندهم فيه خلاف، يقولون لو كان التمسك بالسنة واجب لما خالفه فلان وفلان وفلان من العلماء.

المبتدعة فيهم علماء؛ لكن هل يؤخذ بقولهم وهم مبتدعة؟ ما يؤخذ بقولهم ولو كانوا علماء.

المتن: فصبر الموحد المتبع للرسول ﷺ على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع، وأسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله ﷺ عليه.

الشيخ: المتمسك بدينه يصبر كالقابض على الجمر، يصبر على دينه، ولو أن الناس سفَّهوه والناس سبُّوه والناس عيَّروه، متشدد فيه ما فيه، ما يبالي بهم، مادام إنه كان على حق، أما إن كان على باطل يرجع؛ لكن إن كان على حق يتمسك ولا يهمه كلام الناس مهما قالوا فيه، يصبر على هذا، ونقمة الناس عليك أخف من نقمة الله عليك لو أنك تابعتهم، أنت إذا تابعتهم نقم الله عليك، فنقمة الناس أخف من نقمة الله، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] إصبر على أذى الناس، وإن حصل عليك أذى وحصل عليك مضايقة إصبر عليها أنت في سبيل الله، ونقمة الناس أخف من نقمة الله عليك في الدنيا والآخرة.

المتن: فصبر الموحد المتبع للرسول ﷺ على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع، وأسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله ﷺ عليه من موافقة أهل الشرك والبدعة.

الشيخ: تذكر هذا، أنك مسؤول يوم القيامة على تمسكك بالكتاب والسنة وصبرك على ذلك، أو أنك تركت الكتاب والسنة من أجل إرضاء الناس وتجنب مقتهم لك.

المتن: إِذَا لَمْ يَكُنْ بُد مِنَ الصَّبْرِ فَاصْطَبِرْ ... عَلَى الحقِّ ذَاكَ الصَّبْرُ تُحْمَدُ عُقْبَاهُ

الشيخ: هذا بيت.

المتن: إِذَا لَمْ يَكُنْ بُد مِنَ الصَّبْرِ فَاصْطَبِرْ ... عَلَى الحقِّ ذَاكَ الصَّبْرُ تُحْمَدُ عُقْبَاهُ

الشيخ: الصبر على الحق تحمد عقباه؛ لكن الصبر على الباطل هذا والعياذ بالله عقباه النار.

المتن: الباب العاشر: في علامات مرض القلب وصحته.

الشيخ: سبق أن القلب يمرض بالفتن والشهوات والشبهات، وقد يموت يمرض ثم يشتد به المرض فيموت فيصبح لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، فإذا لم يعالجه صاحبه ويبادر بعلاجه فإنه يموت حينئذ، وبعد ذلك لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، فالمبادرة.

المتن: الباب العاشر: في علامات مرض القلب وصحته، كل عضو من أعضاء البدن خُلق لفعل خاص به، كماله فى حصول ذلك الفعل منه، ومرضه :أن يتعذر عليه الفعل الذى خُلق له، حتى لا يصدر منه، أو يصدر مع نوع من الاضطراب، فمرض اليد :أن يتعذر عليها البطش.

الشيخ: مرض اليد أن يتعهذر عليها البطش يعني الأخذ والإعطاء، والمد والأكل والشرب، هذه وظيفة اليد الأخذ والإعطاء والبطش، يعني الدفاع عن صاحبها إذا اعتُدي عليه هذه وظيفتها، قد تتعطل اليد، تصبح لا تبطش ولا تدافع لمرض أصابها، تحتاج إلى علاج، كذلك الرجل كذلك السمع والبصر كلها إذا لم يبادر بعلاجها وسلمت للآفة التي تعرض لها فقدها صاحبها، كذلك القلب إذا لم تعالجه وتبادر بعلاجه فقدته، فعمي وصار لا فائدة فيه، تمشي تحمل حجرًا في صدرك، ما فيه فائدة.

المتن: ومرض العين :أن يتعذر عليها النظر والرؤية، ومرض اللسان :أن يتعذر عليه النطق، ومرض البدن :أن يتعذر عليه حركته الطبيعية أو يضعف عنها، ومرض القلب :أن يتعذر عليه ما خُلق له من المعرفة بالله ومحبته والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، وإيثار ذلك على كل شهوه.

الشيخ: القلب هو الأصل، «ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ» القلب هو أصل الأعضاء، والمدبر لها.

المتن: ومرض القلب :أن يتعذر عليه ما خُلق له من المعرفة بالله ومحبته والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، وإيثار ذلك على كل شهوته، فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئا.

الشيخ: نعم، الذي يستعمل عقله لمجرد مطامع الدنيا وصناعتها وأشغالها، ويحذقها وينتج؛ لكنه ينسى الآخرة فلا يفكر فيها، هذا لا فائدة له من قلبه ولا من ذكائه ولا من حياته أيضا، فالكفار الآن عندهم نباهة، وهندهم عقول دنيوية، وسبقوا في الصناعات والاختراعات؛ ولكنهم لا يفكرون في الآخرة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٦ – ٧] هذا الكافر قلبه صار للدنيا، حذقها ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥ – ١٦] هذه الصناعات وهذه المخترعات، هذه راحت، زالت، بطلت، إنتهت، راح للآخرة ما معه شيء، خسر الدنيا والآخرة، لا نقول تُترك مصالح الدنيا، تُترك الصناعات، لا؛ لكن لا تقتصر عليها، إستعملها فيما يعينك على طاعة الله، إستعملها في منافعك، وفيما يعينك على طاعة الله، لا

تتركها؛ لكن لا تقتصر عليها، هذا هو المنهي عنه، أنت ما خُلقت للدنيا، أنت خُلقت للآخرة، والدنيا مطية للآخرة ومزرعة للآخرة.

المتن: فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئا.

الشيخ: لو عرف كل شيء، الآن ما خلوا شيء ما عرفوه؛ إلا الأشياء التي لم يطلعهم الله عليها، وإلا فهم عرفوا أشياء كثيرة كما تعلمون الآن؛ لكن تسأله عن الآخرة ما عنده منها خبر، ولا تأتي له على بال.

المتن: فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئا.

الشيخ: هو ماعرف شيئا، أي نعم ما عرف شيئا.

المتن: فكأنه لم يعرف شيئا ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا.

الشيخ: ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا، لو صار من أمهر الصناع والأطباء والمفكرين، وجمع الدنيا كلها ما استفاد منها شيء، يخرج منها مفلسا.

المتن: ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها.

الشيخ: هم يقولون الآن تقدم الغرب، تقدم إلى أين؟ إلى النار؟ ما تقدم الغرب مادام أنه ما يعرف ربه ولم يعرف الدار الآخرة هو ما تقدم، وما هذا بتقدم، هذا غرور، اغتر بها، فلو أنه جمع بين الدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] هذا هو السعيد، والله خلق الدنيا ليُستعان بها على الآخرة.

المتن: ولم يظفر بمحبة الله، والشوق إليه، والأنس به، فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين.

الشيخ: إذا لم يتلذذ بالله ومعرفته وذكره وعبادته، لو اجتمعت عنده كل مشتهيات المآكل والمشارب في الدنيا هو ما تلذذ، ولو لو تلذذ ساعة يعقبها أمراض، يعقبها هموم، يعقبها أحزان، ولذلك تجد الكافر من أضيق الناس صدرا، ومن أضيق الناس صبرا، ينتحر

بعضهم من ضيق الصدر لأنه لا يؤمن بالله ولا يذكر الله حتى ينشرح صدره، فهو في قبر، بعضهم أو كثير منهم ينتحر الآن؛ لكن المؤمن ما عنده شيء مسرور، متلذذ بعبادة الله وبذكر الله، ولو ما عنده من الدنيا شيءإلا متاع فقط.

المتن: ولم يظفر بمحبة الله، والشوق إليه، والأنس به، فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين بل إذا كان القلب خاليا عن ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذابا له ولا بد.

الشيخ: ولذلك ينتحر بعضهم، هو عنده الملذات وعنده التجارة، وعنده كل ما يريده من ملاذ الدنيا؛ لكن قلبه فيه عذاب، ما اطمأن، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] هذا ما عنده ذكر لله؛ ولذلك لا يطمئن قلبه ولا يرتاح.

المتن: بل إذا كان القلب خاليا عن ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذابا له ولا بد، فيصير معذبًا بنفس ما كان منعمًا به من جهتين:

- من جهة حسرة فوته، وأنه حيل بينه وبينه مع شدة تعلق روحه به.

الشيخ: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾ [سبأ: ٥٤].

المتن:

- ومن جهة فوت ما هو خير له وأنفع وأدوم.

الشيخ: ولذلك إذا حضره الموت يندم يقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠] يندم، ما من أحد عند الموت إلا يندم سواءًا المؤمن أو الكافر، المؤمن يندم أن لا يكون ازداد من الأعمال الصالحة، والكافر يندم لأنه واجه جزاؤه وليس له إلا النار فيندم، ويقول ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾

المتن: ومن جهة فوت ما هو خير له وأنفع وأدوم حيث لم يحصل له، فالمحبوب الحاصل فات، والمحبوب الأعظم لم يظفر به.

الشيخ: فاته الذي بيده وليس له حظ عند الله وليس له حظ في الآخرة، هذا أخسر الخاسرين.

المتن: وكل من عرف الله أحبه، وأخلص العبادة له ولا بد، ولم يؤثر عليه شيئًا من المحبوبات.

الشيخ: ولهذا يقول بعض الصالحين: **"أهل الدنيا مساكين خرجوا منها ولم يجدوا ألذ ما فيها، ـ ولم يعرفوا ألذ ما فيها ـ قيل وما ألذ ما فيها؟ قال: ذكر الله عزوجل".**

المتن: وكل من عرف الله أحبه، وأخلص العبادة له ولا بد، ولم يؤثر عليه شيئًا من المحبوبات، فمن آثر عليه شيئًا من المحبوبات فقلبه مريض، كما أن المعدة إذا اعتادت أكل الخبيث وآثرته على الطيب سقطت عنها شهوة الطيب، وتعوضت بمحبة غيره.

الشيخ: إذا تعود على الخبائث تعلق بها، ألفها، وصار ما يتلذذ إلا بها، أما من يتعلق بالطيبات والمباحات فإنه يحبها ويبغض الخبائث، فالإنسان وما اعتاد.

يقول المتنبي: لكلِّ امرئٍ من دهرِه ما تعوَّد.

المتن: وقد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته.

الشيخ: قد يمرض القلب وصاحبه مايدري عن مرضه ولا يلتفت، وقد يموت قلبه ولا يدري عنه.

المتن: وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة.

الشيخ: علامة مرض القلب أنه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، هذه علامة موت القلب، كله سواء عنده.

فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه.

الشيخ: إذا صار فيه حياة فإنه ينفر من المعاصي على قدر ما فيه من الطاعة؛ لكن الذي ما فيه طاعة ولا فيه محبة لله هذا كله سواء عنده بل يكون الخبيث أحب إليه من الطيب.أ.هـ.